

التلاعب بالعقول من خلال الترجمة

Mind Manipulation Through Translation

يوسف معاش *

جامعة جيجل

Maache72@gmail.com

تاريخ القبول: 2024-10-29

تاريخ الإرسال: 2024-08-03

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى استكشاف كيفية استخدام الترجمة كأداة للتلاعب بالإدراك البشري من خلال تغيير وتشويه المعاني والمفاهيم الثقافية والأيدولوجية. تركز المقالة على دور الترجمة في تشكيل الإدراك والثقافة الإنسانية. تظهر الأدلة أن الترجمة ليست عملية محايدة، بل هي محملة بالتحيزات الأيدولوجية والثقافية. قد يقوم المترجمون بتعديل النصوص لتناسب مصالحهم الفكرية أو الأيدولوجية، مما يستدعي التفكير النقدي حول النصوص المترجمة وفهم العمليات الخفية في الترجمة.

الكلمات المفتاحية: تلاعب؛ إدراك؛ تحيزات؛ مترجمون.

Abstract:

This article examines how translation is used for the manipulation of human perception through alternation and distortion of meanings and cultural and ideological concepts. It focuses on the role of translation in shaping human perception and culture. There will be enough evidence shown in this research that translation is not a neutral process but is, in fact, ridden with ideological and cultural biases. Translators can also adapt the text according to their cognitive or ideological interests, so that a critical perspective is required regarding translated texts and awareness of underlying translation processes.

Keywords: Manipulation ; Perception; Biases; Translators.

تُعتبر الترجمة أداة قوية لنقل المعرفة بين الثقافات المختلفة، لكنها تحمل في طياتها القدرة على التلاعب بالأفكار من خلال تغيير المفاهيم وتشويه المعاني. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف كيفية استخدام الترجمة كوسيلة للتأثير على الإدراك البشري، متسائلة عن مدى تأثير الترجمة على إدراك القارئ وكيف يمكن أن تكون وسيلة للتلاعب بالأفكار. وتنبع أهمية هذه الدراسة من الدور المحوري الذي تلعبه الترجمة في نقل النصوص عبر الثقافات والأيديولوجيات، مما يؤثر بشكل مباشر على فهم الجمهور وتشكيل آرائهم. بناءً على خلفيات نظرية تشمل نظريات الترجمة والإدراك، وأخرى عملية تتعلق بتحليل النصوص المترجمة، تتناول الدراسة نطاق الترجمة كأداة للتأثير الأيديولوجي والثقافي، وتهدف إلى كشف الآليات التي يستخدمها المترجمون للتلاعب بالنصوص لخدمة أجنداتهم الفكرية أو الأيديولوجية. لذا، تطرح الدراسة فرضيات وإشكالات مثل: هل يمكن للمترجمين، بقصد أو بغير قصد، تغيير المعنى الأصلي للنصوص لنقل أيديولوجياتهم وأحكامهم المسبقة؟ وما هي الآليات المستخدمة لتحقيق هذا التلاعب؟ وكيف يمكن للفروق الثقافية والأيديولوجية أن تؤثر على عملية الترجمة؟ تتبع الدراسة منهجاً تحليلياً نقدياً، بالتركيز على تحليل النصوص المترجمة والكشف عن الطرق التي يعتمد عليها المترجمون لتحقيق أهدافهم، مما يتيح فهماً أعمق لدور الترجمة في تشكيل الإدراك البشري والتلاعب بالأفكار. وتهدف الدراسة إلى تقديم رؤية واضحة للعوامل الخفية التي تؤثر على الترجمة والنصوص المترجمة، وبالتالي تعزيز وعي القارئ بأهمية دور المترجمين في نقل النصوص والثقافات بشكل موضوعي ونزيه.

1- مفهوم التحكم بالإدراك:

يتناول هذا العنصر مفهوم التلاعب بالإدراك، وهو إحدى الأدوات الرئيسية التي تستخدمها النخب الحاكمة للحفاظ على السيطرة الاجتماعية. يشمل هذا التلاعب استخدام المعلومات الخاطئة والتلاعب المعرفي لتحقيق الأهداف السياسية والاجتماعية، حيث يتضمن التأثير على الأفراد أو المجموعات بطرق تخفي النوايا الحقيقية وراء الأفكار المقدمة.

وفي هذا السياق، يبين ابن خلدون كيف يؤثر الادعاء بالنسب الشريف على ولاء العامة من المجتمع، إذ يمنح القائد شرعية دينية واجتماعية تعزز مكانته وتزيد من قبول الناس لقيادته وطاعته. كما يساهم في تقوية العصبية القبلية وتوحيد الصفوف حول القائد، مما يعزز من تماسك الجماعة ويزيد من ولائهم للقائد ويحقق استقراراً أكبر في الحكم¹.

من خلال هذا، يتضح أن ابن خلدون يرى أن السيطرة والرياسة تعتمد بشكل كبير على قوة العصبية والنسب الشريف، حيث أن النسب الشريف يمنح شرعية وقوة إضافية للعصبية، مما يضمن استمرارية واستقرار الحكم. كما جاء في المقدمة: "وذلك أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية، فلا بد في الرئاسة على القوم، أن تكون من عصبية غالبية لعصبيتهم واحدة واحدة؛ لأن كل عصبية منهم إذا أحسنت، يغلب عصبية الرئيس لهم، أقروا بالإذعان والاتباع، والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب، وإنما هو ملصق لريق، وغاية التعصب له بالولاء والخلف، وذلك لا يوجد له غالباً عليهم ألبته"². يوضح ابن خلدون هنا أن الرئاسة تتطلب غلبة وقوة العصبية، والتي تتحقق عبر وجود عصبية قوية وموحدة. ويعزز النسب الشريف هذه العصبية ويمنحها شرعية، مما يجعل أفراد الجماعة يقبلون بالقيادة ويتبعونها، في حين أن من يفتقر إلى النسب الشريف لن يكون له نفس القدرة على السيطرة.

هذا، ويمكن أن يتخذ التلاعب أشكالاً عديدة، بدءاً من تقديم معلومات كاذبة أو مشوهة إلى خلق أو تعزيز الأساطير التي تبرر وضعاً معيناً. على سبيل المثال، في بداية القرن العشرين، استخدمت الأنظمة الشمولية مثل النظام النازي في ألمانيا التلاعب بالإدراك من خلال وسائل الإعلام والدعاية لإبراز صورة محددة للشعب الألماني الآري كـ"كعرق متفوق" لتشويه صورة شعوب أخرى. فمن خلال نشر معلومات مضللة ومشوهة، نجح النظام في تحفيز مشاعر الكراهية والعنصرية، مما ساعد في تحقيق أهدافه السياسية والاجتماعية و الشعور بكراهية الشعوب المستهدفة.

¹ - ينظر : عبد الرحمن بن خلدون (2004) مقدمة ابن خلدون، المحقق: عبد الله محمد الدرويش، الناشر: دار يعرب، دمشق، ص: 260.

² - نفسه، ص: 261.

وفقًا لهربرت شيللر في "المتلاعبون بالعقول"، فإن تضليل العقول البشرية عبارة عن "أداة للقهر". يقول: "إن تضليل عقول البشر هو أداة للقهر. فهو مثل إحدى الأدوات التي تسعى النخبة من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة. فباستخدام الأساطير التي تفسر وتبرر الشروط السائدة للوجود، بل وتضفي عليها أحيانًا طابعًا خلابًا، يضمن المضللون التأييد الشعبي لنظام اجتماعي لا يخدم في النهاية المصالح الحقيقية للأغلبية. وعندما يؤدي التضليل الإعلامي للجماهير دوره بنجاح، تنتفي الحاجة إلى اتخاذ تدابير اجتماعية بديلة"³. في مثل هذه المواقف، يصبح التلاعب العقلي وسيلة فعالة لضمان استمرار السيطرة الاجتماعية، لذا من الضروري فهم هذه العمليات وأهدافها لتطوير استراتيجيات المواجهة.

وعلى نفس المنوال، تلعب الترجمة، باعتبارها أداة لنقل المعرفة بين الثقافات، دورًا مهمًا في التلاعب بالإدراك. فأتثناء عملية الترجمة، يمكن للمترجم اختيار الكلمات وتغيير السياق وإعادة تشكيل النص بطرق تؤثر على فهم القارئ. قد تصبح الترجمة وسيلة لتشكيل الروايات الثقافية والأيديولوجية، مما يجعلها أداة قوية للتلاعب بالعقول البشرية. بناءً على ذلك، قد تتحول الترجمة إلى وسيلة لتشويه الحقائق والتحكم في الإدراك، بالإضافة إلى تعزيز التفاهم المتبادل بين الثقافات المختلفة. في باقي عناصر هذه المقالة، سيتم استعراض الطرق التي يمكن من خلالها استخدام الترجمة كأداة للتلاعب بالإدراك وتشكيل الوعي الثقافي والاجتماعي.

2- الترجمة ومزالق النقل الثقافي والإيديولوجي: سيتم التطرق في هذا العنصر إلى

عدة مضامين مهمة تتعلق بتعقيدات الترجمة وأثرها الثقافي والإيديولوجي على فهم النصوص. وسيتم استعراض كيف يمكن أن تؤدي الأخطاء الشائعة في الترجمة إلى تشويه المعاني الأصلية، مع تقديم أمثلة توضيحية.

لا يقتصر دور الترجمة على نقل الكلمات من لغة إلى أخرى؛ بل تعتبر وسيلة لربط الثقافات والمنظورات، وقد تحمل تحيزات ثقافية وإيديولوجية تؤثر على فهم القارئ. يشير أنطوان بيرمان إلى هذا البعد الثقافي والإيديولوجي للترجمة. بقوله بأن الترجمة ليست مجرد

³ - هيربرت أ شيللر ، (1999)، المتلاعبون بالعقول ، ترجمة عبد السلام رضوان، دط، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ص: 05.

نقل للكلمات؛ إنها نقل للثقافة والإيديولوجيا، مما يمكن أن يؤثر بشكل كبير على فهم القارئ⁴.

ويحلل بيرمان "المزلق الاثني عشر للترجمة"، وهي الأخطاء التي قد يقع فيها المترجمون أثناء محاولتهم نقل النصوص بين اللغات. تتلخص هذه المزلق في طابع "التسطيح"، حيث يفقد النص عمقه الثقافي ويصبح سطحيًا، وفي "الإطالة المفرطة"، أين يضيف المترجم معلومات غير ضرورية في محاولة لشرح النص الأصلي. هذه الأخطاء قد تؤدي إلى تحريف النصوص الأصلية وتشويه المعاني.

عند ترجمة نص أدبي فرنسي إلى الإنجليزية، يواجه المترجم تحديات عدة تتعلق بنقل الدلالات الثقافية الخاصة بالمجتمع الفرنسي. إذا لم يكن المترجم على دراية كافية بالسياق الثقافي الفرنسي، فقد يلجأ إلى تبسيط النص أو حتى تحريف معانيه الأصلية لجعلها مفهومة للقارئ الإنجليزي، مما يؤدي إلى فقدان الكثير من الدلالات الثقافية والإيديولوجية.

نجد مثلاً على ذلك في ترجمة إيزابيل فلورنس هابجود لرواية "البؤساء"، حيث تظهر محاولة للحفاظ على أسلوب فيكتور هوغو الأدبي، لكنها في بعض الأحيان تقع في فخ "التسطيح". على سبيل المثال، قد تم تقليص الوصف التفصيلي الذي استخدمه هوغو للتعبير عن الفقر والمعاناة، مما أثر على فهم القارئ للعمق العاطفي والاجتماعي الذي كان يقصده هوغو. فالنص الأصلي بالفرنسية و ترجمته إلى الإنجليزية من "البؤساء جاء كما يلي:

"Jean Valjean était de ceux qui, dès l'enfance, ont été voués au travail manuel; il avait des parents pauvres et ignorants."

"Jean Valjean was one of those who, from childhood, had been destined for manual labor; he had poor and ignorant parents."⁵

في هذا المثال من "البؤساء" لفكتور هوجو، تضمنت الترجمة الإنجليزية للجملة الفرنسية الأصلية تلاعبات دقيقة قد تؤثر على الفهم الكلي للنص. ففي النص الأصلي، تم استخدام كلمة "voués" التي تعني "مكرّس" أو "مخصص"، لتشير إلى أن العمل اليدوي كان شيئاً مفروضاً أو مقدراً على جان فالجان. أما في الترجمة الإنجليزية، فتحمل كلمة "destined" دلالة أقل سلبية وكأن العمل اليدوي كان قدراً محتوماً. بالإضافة إلى ذلك، في الترجمة تم حذف الفاصلة المنقوطة، وهو ما يجعل الجملتين تبدوان أكثر ارتباطاً، مما يقلل من التركيز على كل منهما كفكرة مستقلة. هذه التغييرات البسيطة يمكن أن تؤدي إلى تقليل الشعور بأن جان فالجان كان ضحية للظروف الاجتماعية القاسية وتقلل من التأكيد على الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التي أدت إلى حالته، مما يغير الانطباع الكلي الذي يحصل عليه القارئ.

باختصار، تعتبر الترجمة عملية حساسة تتطلب فهماً عميقاً للثقافة والإيديولوجيا المرتبطة بالنص الأصلي. وإن الوعي بهذه الجوانب يمكن أن يساعد المترجمين على تجنب المزالق الشائعة والحفاظ على جوهر النص وروحه، مما يساهم في تحقيق تجربة قراءة غنية ومتكاملة.

3- الترجمة: خيانة للمعاني الأصلية :

في هذا العنصر، سيتم التطرق إلى آراء جاك دريدا حول عملية الترجمة وكيف يمكن أن تؤدي إلى تشويه المعاني الأصلية للنصوص، بالتطرق إلى رؤية دريدا للترجمة كممارسة محملة بالتحيزات الثقافية والشخصية للمترجم. بعد ذلك، سيتم استعراض التحديات التي تواجه المترجمين عند نقل الأفكار الفلسفية العميقة من لغتها الأصلية، مع التركيز على أمثلة من أعمال مارتن هايدغر وفيودور دوستوفسكي. وأخيراً، سيُختتم بتحليل لدور المترجم في الحفاظ على السياق الفلسفي والثقافي للنصوص.

⁴ - Antoine Berman, 1992, L'épreuve de l'étranger: Culture et traduction dans l'Allemagne romantique, Gallimard, p. 24.

⁵ -Victor Hugo, 1862, Les Misérables, A. Lacroix, Verboeckhoven & Cie, p. 30.

يرى جاك دريدا أن الترجمة عملية غير بريئة، تحمل القدرة على تغيير وتشويه المعاني الأصلية للنص. ويذهب إلى القول بأنه لا يمكن للترجمة أن تكون بريئة؛ وإنها عملية تحمل القدرة على تغيير وتشويه المعاني الأصلية للنص، مما يمكن أن يؤثر على تصورات القراء،⁶ ويشير إلى أن الترجمة دائماً ما تكون محملة بالتحيزات الشخصية والثقافية للمترجم، مما يؤدي إلى "تخريب" النص الأصلي.

فالت ترجمة من منظور دريدا ليست استقبلاً محايداً أو إعادة إنتاج بسيطة للنص. وهي بدلاً من ذلك، عملية خيانة للنص الأصلي حيث يتم تشويه المعاني خلال عملية النقل اللغوي. وهي أيضاً "عملية تضمن بقاء العمل كعمل" وأنها تعيش "أكثر وأفضل" من مؤلفها، مما يجعل المترجم خائناً لأن المعنى ينهار في عملية النقل الدلالي.⁷

ففي ترجمة أعمال مارتين هايدغر، يظهر هذا التحدي بوضوح، حيث يواجه المترجمون صعوبة في نقل الأفكار الفلسفية المعقدة دون أن يفقدوا معانيها العميقة والرمزية. فعلى سبيل المثال، مصطلح "Dasein" الذي استخدمه هايدغر في "الوجود والزمان" يتطلب تفسيراً عميقاً للنقل بدقة إلى الإنجليزية. العديد من المترجمين قدموا هذا المصطلح كـ "Being-there"، ولكن هذا النقل قد لا ينقل العمق الفلسفي الكامل الذي قصده هايدغر.

في النص الأصلي بالألمانية من "الوجود والزمان":

"Das Dasein ist das Sein, dem es in seinem Sein um dieses Sein geht."

وفي الترجمة الإنجليزية:

⁶ -Jacques Derrida, 1985, Des tours de Babel, dans **Psyché: Invention de l'autre, Galilée, p. 209.

⁷ -Hervé Toussaint Ondoua, 2007, Jacques Derrida et Souleymane Bachir Diagne, Revue de Traduction et Langues, Université de Oran, vol. 22, no. 01/2023, pp. 92-110.

"Dasein is the being for whom being is an issue, in its being."⁸

في هذا المثال، يتضح كيف تلاعب المترجم بالإدراك من خلال خيانة المعنى الأصلي باستخدام كلمات معينة. النص الألماني "Das Dasein ist das Sein, dem es in seinem Sein um dieses Sein geht" يحمل معنى فلسفي دقيق، حيث يشير إلى أن "الوجود هو الكائن الذي يهتم بوجوده". الترجمة الإنجليزية "Dasein is the being for whom being is an issue, in its being" استخدمت كلمة "issue" بدلاً من "geht um"، حيث أن "geht um" تعني "يهتم" أو "ينشغل"، بينما "issue" توجي بمشكلة أو مسألة، مما يضيف طبقة من التعقيد والاهتمام بشكل مختلف. هذا التلاعب بالكلمات يؤثر على الإدراك الفلسفي للنص، حيث يجعل القارئ يشعر بأن الوجود يمثل مشكلة أو قضية، بدلاً من كونه موضوع اهتمام وانشغال. وبالتالي، هذا التغيير في الترجمة يغير الطابع الفلسفي للنص الأصلي ويؤثر على فهم القارئ لمفهوم الوجود كما قدمه هايدغر.

مثال آخر هو ترجمة أعمال فيودور دوستويفسكي، حيث يمكن أن تكون هذه العملية ضارة بشكل كبير لأنها قد تؤدي إلى فقدان الكثير من الدلالات النفسية والرمزية في النصوص الأصلية. ففي ترجمة رواية "الجريمة والعقاب"، نجد أن العديد من الترجمات الإنجليزية تقلل من حدة الصراع الداخلي الذي يعاني منه راسكولنيكوف، بطل الرواية.

في النص الأصلي بالروسية :

"Но ему было не по себе, и его страшило, что кто-то может узнать его мысли."

أما الترجمة الإنجليزية :

⁸ -Heidegger, Martin. 1927. Being and Time. Translated by John Macquarrie and Edward Robinson. New York: Harper & Row, p. 67.

"But he was ill at ease, and it frightened him to think that anyone could discover his thoughts."⁹

في هذا المثال، تلاعب المترجم بالإدراك من خلال خيانة المعنى الأصلي باستخدام كلمات محددة. فقد استخدم كلمة "ill at ease" بدلاً من "не по себе"، "غير مرتاح"، بينما "ill at ease" تضيف طابعاً أكثر حدة من عدم الارتياح. بالإضافة إلى ذلك، استخدم تعبير "it frightened him to think" بدلاً من "его страшило"، "كان يخشى"، بينما الترجمة تضيف طبقة من الخوف حول مجرد التفكير في أن أحداً قد يكتشف أفكاره، مما يزيد من درجة الرعب والتوتر. هذا التلاعب في الترجمة يجعل القارئ يشعر بدرجة أكبر من القلق والرعب مما هو موجود في النص الأصلي، وبالتالي يغير الطابع النفسي للشخصية.

ختاماً، يؤكد دريدا أن الترجمة تتطلب أكثر من مجرد نقل الكلمات؛ فهي تستوجب فهماً عميقاً للسياق الفلسفي والثقافي للنصوص. كما ينبغي للمترجم أن يكون فيلسوفاً قادراً على فك شفرة النص الأصلي وإعادة بنائه بطريقة تحافظ على معانيه العميقة.

4- الترجمة وتحديات التأويل:

في هذا العنصر، سيتم التركيز على الترجمة باعتبارها عملية تفسيرية تعتمد على الفهم العميق للنص والسياق الثقافي. وسيتم التطرق إلى فلسفة بول ريكور حول الترجمة، وأهمية الحفاظ على العمق الفلسفي والأبعاد الثقافية للنصوص، من خلال أمثلة من أعمال الفلاسفة الألمان مثل إيمانويل كانط.

يذهب بول ريكور إلى القول بأن الترجمة عبارة عن عملية تفسيرية تعتمد على الفهم العميق للنص والسياق الثقافي. فهو يرى أن الترجمة بمثابة "تأويل"، حيث يتطلب من المترجم أن يكون ملماً بعمق النصوص وأبعادها الثقافية والفلسفية. يقول: "الترجمة ليست مجرد نقل للمعاني بل هي أيضاً فهم وتفسير عميق للنص، بحيث يكون المترجم قادراً على

⁹ -Dostoevsky, Fyodor. 1866. Crime and Punishment. Translated by Constance Garnett. New York: The Macmillan Company, p. 56.

نقل الأبعاد المختلفة للمعنى الأصلي¹⁰. وهكذا، فإن الترجمة ليست مجرد نقل آلي للمعاني من كلمات إلى أخرى، بل تتطلب تفاعلاً عميقاً مع النص. هذا، و أوضح أحد الدارسين وجهة نظر ريكور حول الترجمة، مشيراً إلى اعترافه بالاختلافات الجوهرية بين اللغات والثقافات. فالمترجم يجب أن يكون قادراً على استعادة المعنى وليس فقط المعنى ولكن أيضاً النكهة والصوت الأصلي للنص، فالإقتصار على استعادة المعنى لا يكفي، بل يجب إعطاء النص نكهة واحترام صوت المعنى¹¹. وبالتالي، يُظهر ريكور أن الترجمة تتطلب تفاعلاً عميقاً مع النص يتجاوز مجرد نقل الكلمات.

في ترجماته لأعمال الفلاسفة الألمان، شدد ريكور على أهمية الحفاظ على العمق الفلسفي والأبعاد الثقافية للنصوص. على سبيل المثال، في تعامله مع "نقد العقل المحض" لإيمانويل كانط، اهتم بنقل المفاهيم المعقدة والتأويلات الفلسفية بوضوح، مع المحافظة على الدقة والأمانة للنص الأصلي. فالنص الأصلي بالألمانية من "نقد العقل المحض":

"Die Gedanken ohne Inhalt sind leer, die Anschauungen ohne Begriffe sind blind."

أما ترجمته إلى الفرنسية في:

"Les pensées sans contenu sont vides, les intuitions sans concepts sont aveugles."¹²

في هذا المثال من "نقد العقل المحض" لكانط، والترجمة الفرنسية لبول ريكور، يتضح تحدي الترجمة والتأويل وكيف أثرت الترجمة على الفهم. النص الأصلي بالألمانية يستخدم "Gedanken" التي تعني "أفكار" و "Anschauungen" التي تُترجم إلى "حدوس"، حيث تحمل دلالة فلسفية خاصة عند كانط تتعلق بالإدراك الحسي المباشر. في المقابل،

¹⁰ -Ricœur, Paul. 2006. Sur la traduction. Paris: Bayard, p. 45

¹¹ Dussart André, 2007, Paul Ricoeur et le deuil de la traduction absolue, Équivalences, 34e année-n°1-2, pp. 31-46;

¹² - Kant, Immanuel. 1781. Critique de la raison pure. Translated by Paul Ricœur. Paris: PUF, p. 85.

اختار ريكور في ترجمته الفرنسية مصطلحي "pensées" و "intuitions"، مع الحفاظ على البنية الأصلية، مما يعكس التوازن الدقيق الذي أراده كانط بين الفكر والتجربة. على الرغم من أن الترجمة الفرنسية تحتفظ بجوهر الرسالة الفلسفية، فإن استخدام "intuitions" قد يؤدي إلى تأويل مختلف نظراً للتباينات اللغوية والثقافية بين الألمانية والفرنسية، إذ قد يفكر القارئ الفرنسي في الحدود بشكل أوسع. علاوة على ذلك، الترجمة قد تجعل القارئ يشعر بتمييز أوضح بين الفكر والحدس، مما يؤثر على فهم تكامل هذين العنصرين في فلسفة كانط. وهكذا، بول ريكور تحدى التأويل من خلال اختياره لمصطلحات دقيقة، ولكن تقديمه لتلك المعاني في إطار لغوي فرنسي قد يحمل دلالات وتأويلات مختلفة، مما أثر على الفهم الكلي للنص.

ختاماً، يشدد ريكور على أن قراءة النص لترجمته يجب أن تتجاوز التفسير البسيط، حيث تتطلب إدراكاً نقياً للعمل. ويقترح أن تكون قراءة النص من أجل ترجمته تعني إضاءة النص بنور ليس من نوع الهرمينوطيقا فقط، بل هي عملية قراءة-ترجمة، ترجمة أولية. وهكذا، يُبرز ريكور أن الترجمة تتطلب من المترجم أن يكون على دراية تامة بالنصوص والثقافات التي ينقلها، مما يعزز فهم القارئ للعمق الفلسفي والثقافي للنصوص المترجمة.

5- الترجمة والتلاعب بالإدراك وتشكيل الثقافة:

في هذا العنصر، سيتم مناقشة آراء لورانس فينوتي حول دور الترجمة في التأثير على الإدراك وتشكيل الثقافة. ستبدأ بالتطرق إلى رؤية فينوتي للترجمة. ثم سيتم التطرق إلى كيفية تأثير الإيديولوجية الشخصية للمترجم على النصوص الأدبية.

يرى لورانس فينوتي أن الترجمة ليست مجرد نقل نص من لغة إلى أخرى، بل هي عملية تتضمن قدرًا كبيرًا من التلاعب والتوجيه الفكري. ويؤكد أن المترجمين يلعبون دورًا حاسمًا في كيفية استقبال النصوص المترجمة وفهمها، من خلال فرض رؤيتهم وإيديولوجيتهم على النصوص الأصلية. يقول: "تمتلك الترجمة قوة هائلة في بناء الهويات

الوطنية للثقافات الأجنبية، وبالتالي فهي قد تسهم في التمييز العرقي، المواجهات الجيوسياسية، الاستعمار، الإرهاب، والحروب¹³.

إضافةً إلى ذلك، يمكن أن يحدث التلاعب بالنصوص على مستوى اللغة نفسها. اللغة ليست محايدة؛ فهي تحمل بداخلها تاريخًا من العلاقات الثقافية والسياسية. عندما يقوم المترجم بنقل نص من لغة إلى أخرى، فإنه يواجه تحديات تتعلق بكيفية نقل هذه العلاقات والمعاني الدقيقة. هذا يمكن أن يؤدي إلى تفسيرات مختلفة تؤثر على كيفية فهم النصوص واستقبالها¹⁴.

تأثير الترجمة يتجاوز النصوص الفردية ليشمل الثقافة والمجتمع بشكل أوسع. يمكن أن تكون وسيلة لنقل الأفكار والثقافات بين الشعوب، ولكنها يمكن أيضًا أن تكون وسيلة لفرض ثقافة معينة على أخرى. يشير فينوتي إلى أن هناك تاريخًا طويلًا من استخدام الترجمة كأداة للهيمنة الثقافية. خلال فترة الاستعمار، استخدمت القوى الاستعمارية الترجمة كوسيلة لفرض ثقافتها ولغتها على الشعوب المستعمرة.

ويُلاحَظ فينوتي على المترجمين بضرورة مواجهة التوقعات الثقافية الخاصة بكل من اللغة المصدر واللغة الهدف، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى تكييف النصوص بطرق تؤثر على استقبالها وفهمها¹⁵. هذا يعزز فكرة أن الترجمة ليست عملية محايدة، بل هي مشروطة بتوجهات ثقافية وإيديولوجية قد تؤثر على النصوص بطرق مختلفة.

في ترجمة الأدب، يمكن للمترجم أن يختار إما الحفاظ على الأسلوب الأدبي الأصلي أو تعديله ليناسب الجمهور المستهدف. إذا كان يحمل إيديولوجية معينة، فقد يختار تعديل النص ليناسب هذه الإيديولوجية. على سبيل المثال، في ترجمة الأعمال الأدبية من فترات

¹³ - Venuti, Lawrence (1995). The Translator's Invisibility: A History of Translation. Routledge, United Kingdom, p. 19.

¹⁴ - IBID. p. 46.

¹⁵ - IBID. p. 10.

زمنية مختلفة، قد يقوم بتعديل النصوص لتتناسب مع القيم الحديثة، مما يغير من سياقها الأصلي ومعناها.

لنأخذ مثلاً من الأدب العربي المترجم إلى الإنجليزية ، وهو رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح. تعتبر هذه الرواية من أبرز الأعمال الأدبية العربية وتتناول قضايا الهوية الثقافية والتاريخ الاستعماري والتفاعل بين الشرق والغرب. النص الأصلي بالعربية يحمل رموزاً وتلميحات ثقافية مرتبطة بالسياق السوداني والتاريخ الاستعماري: "وفي ذروة الفرح كنت أرى في عينها غبشاً من الدموع، وكأنها كانت تودعني الوداع الأخير".

وفي الترجمة الإنجليزية:

"At the height of our happiness I saw a mist of tears in her eyes, as if she were bidding me farewell for the last time."¹⁶

في هذا المثال، التلاعب بالعقول تم من خلال اختيارات الترجمة التي غيرت الطابع العاطفي للنص الأصلي ووجهت إدراك القارئ نحو تجربة معينة. النص العربي الأصلي يستخدم كلمات مثل "غبشاً" التي توحى بشيء غير واضح، مما يعكس شعوراً مختلطاً بين الفرح والحزن، في حين في الترجمة الإنجليزية، استخدم المترجم كلمة "mist" التي توحى بشاعرية ورومانسية أكثر وضوحاً. هذا التلاعب يؤثر على الإدراك لأن كلمة "غبشاً" تحمل دلالة على الغموض والضبابية، بينما "mist" تجعل الصورة أكثر نعومة وجمالاً، مما يمكن أن يغير شعور القارئ نحو اللحظة ويجعلها تبدو أقل حزناً وأكثر رومانسية. بالإضافة إلى ذلك، تعبير "تودعني الوداع الأخير" في النص الأصلي، الذي يحمل دلالة نهائية ولكن بأسلوب أقل حدة، تُرجم إلى "bidding me farewell for the last time"، مما يعطي انطباعاً أقوى وأشد نهائية عن الفراق، ويعمق الشعور بالحزن لدى القارئ. بذلك، المترجم يتلاعب بالعقول من خلال توجيه مشاعر القارئ نحو تجربة عاطفية معينة تختلف عن تلك التي

¹⁶ -Salih, Tayeb (1966). *Season of Migration to the North*. Translated by Denys Johnson-Davies. Heinemann, United Kingdom, p. 19.

يمكن أن يحصل عليها من النص الأصلي، مع تقديم النص بطريقة تتناسب مع الثقافة والحساسية الأدبية الإنجليزية، مما يشكل فهمًا ثقافيًا مختلفًا للنص.

يقدم فينوتي رؤية نقدية لعالم الترجمة، موضحًا كيف يمكن أن تكون عملية الترجمة معقدة ومحملة بالإيديولوجيات والتحيزات. والترجمة ليست مجرد عملية نقل نص من لغة إلى أخرى، بل هي عملية تتضمن الكثير من التلاعب والتوجيه الفكري. فمن خلال فرض رؤيتهم وإيديولوجيتهم على النصوص، يمكن للمترجمين أن يؤثرُوا بشكل كبير على كيفية استقبال النصوص وفهمها من قبل القراء. يعتبر هذا التحليل العميق لدور الترجمة دعوة للتفكير النقدي حول النصوص المترجمة وكيفية استقبالها، مما يبرز أهمية الوعي بدور المترجمين كفاعلين ثقافيين يساهمون في تشكيل الإدراك البشري والثقافة العالمية.

الخاتمة:

في الختام، يبرز هذا المقال كيفية استخدام الترجمة كوسيلة للتحكم بالعقول والإدراك البشري من خلال تغيير وتحريف المعاني والمفاهيم الثقافية والأيديولوجية. استعرضنا رؤى ونظريات علماء بارزين مثل أنطوان بيرمان، جاك دريدا، بول ريكور، ولورانس فينوتي، حيث أظهر التحليل أن الترجمة ليست عملية محايدة بل محملة بالإيديولوجيات والتحيزات الثقافية. يمكن للمترجمين استخدام الترجمة كأداة لنقل المفاهيم والأفكار بين الثقافات، وقد يتعمدون أحيانًا تعديل النصوص لتناسب أهدافهم الفكرية أو الأيديولوجية، مما يؤدي إلى تحريف النصوص الأصلية وتشويه المعاني.

توضح النتائج أن الترجمة يمكن أن تكون وسيلة قوية للتلاعب بالإدراك البشري، حيث يمكن للمترجمين التأثير على كيفية استقبال النصوص وفهمها من قبل القراء. يدعو هذا التحليل إلى التفكير النقدي حول النصوص المترجمة والوعي بالدور الهام الذي يلعبه المترجمون كفاعلين ثقافيين في تشكيل الثقافة والإدراك العالمي. من الضروري للقارئ أن يكون مدركًا لتلك العمليات والأهداف الخفية التي قد تحملها الترجمة لضمان فهم نقدي ومعمق للنصوص المترجمة.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن. (2004). مقدمة ابن خلدون، المحقق: عبد الله محمد الدرويش، داريعرب، دمشق.
2. شيللر، هيربرت أ. (1999). المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
المراجع الأجنبية:

1. Berman, Antoine. (1992). *L'épreuve de l'étranger: Culture et traduction dans l'Allemagne romantique*, Gallimard.
2. Derrida, Jacques. (1985). *Des tours de Babel*, dans *Psyché: Invention de l'autre*, Galilée.
3. Dostoevsky, Fyodor. (1866). *Crime and Punishment*. Translated by Constance Garnett. New York: The Macmillan Company.
4. Dussart, André. (2007). *Paul Ricoeur et le deuil de la traduction absolue*, Équivalences, 34e année-n°1-2.
5. Heidegger, Martin. (1927). *Being and Time*. Translated by John Macquarrie and Edward Robinson. New York: Harper & Row.
6. Hugo, Victor. (1862). *Les Misérables*, A. Lacroix, Verboeckhoven & Cie.
7. Kant, Immanuel. (1781). *Critique de la raison pure*. Translated by Paul Ricoeur. Paris: PUF.
8. Ricoeur, Paul. (2006). *Sur la traduction*. Paris: Bayard.
9. Salih, Tayeb. (1966). *Season of Migration to the North*. Translated by Denys Johnson-Davies. Heinemann, United Kingdom.
10. Venuti, Lawrence. (1995). *The Translator's Invisibility: A History of Translation*. Routledge, United Kingdom.
11. Ondoua, Hervé Toussaint. (2007). *Jacques Derrida et Souleymane Bachir Diagne*, Revue de Traduction et Langues, Université de Oran, vol. 22, no. 01/2023

